



جامعة المنصورة
كلية التربية



الاستدلال بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد - عرض ونقد -

إعداد

د. / عالية بنت حسن بن عمر العمودي
أستاذ العقيدة المساعد بجامعة نجران
كلية الشريعة وأصول الدين

مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة
العدد ١٣١ - يوليو ٢٠٢٥

الاستدلال بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد - عرض ونقد -

د. / عالية بنت حسن بن عمر العمودي
أستاذة العقيدة المساعد بجامعة نجران
كلية الشريعة وأصول الدين

الملخص:

يهدف البحث إلى: الذب عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، ونقد شبهات المخالفين في الاستدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد، وجمع شتات الموضوع في بحث واحد.

وقد استخدمت فيه المنهج الوصفي التحليلي.

أهم النتائج: حديث الولي هو الحديث القدسي الوارد في صحيح البخاري وغيره، ونصه: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ..»، والحلول والاتحاد يعني أَنَّ الله سبحانه وتعالى قد حلَّ في جميع أجزاء الكون .. أو بمعنى أَنَّ المخلوق عين الخالق، وقد اعترف المتصوفة بافتتانهم بهذا الحديث واشتباهه عليهم، واستدلّ بعضهم به على الحلول والاتحاد، ومنهم من استدل به على الفناء الصوفي، وقد فهم القائلون من المتصوفة من الحديث الامتزاج والحلول، وهو فهم خاطئ مخالف للفهم السليم الصحيح للحديث، وخلطوا بين الاتحاد النوعي الوصفي الذي يشير إليه الحديث، وبين الاتحاد الذاتي الذي لا يدل عليه الحديث البتة. وأوصي الباحثين بالرد على بقية شبهات المتصوفة التي يستدلون بها على الحلول والاتحاد.

الكلمات المفتاحية: [حديث الولي، من عادي، الحلول، الاتحاد]

Abstract

Title of the Study: Using the Ḥadīth of al-Walī as Evidence for the Doctrines of Incarnation and Union – A Presentation and Critique

Author: Dr. ‘Āliyah Ḥasan ‘Umar al-‘Amūdī, Assistant Professor of Creed at Najran University, College of Sciences and Arts in Sharurah, Kingdom of Saudi Arabia – ahalamoudi@nu.edu.sa

This study aims to defend the Sunnah of the Prophet ﷺ from the distortions of extremists and the misinterpretations of the ignorant, to refute the misconceptions of those who use the Ḥadīth of al-Walī as evidence for the doctrines of incarnation (ḥ ulūl) and union (ittiḥ ād), and to consolidate the scattered discussions on the topic into one comprehensive study.

The research adopts a descriptive analytical methodology.

Main Findings:

The Ḥadīth of al-Walī is a sacred (qudsī) narration reported in Ṣ aḥ īḥ al-Bukhārī and other sources. Its text begins: “Indeed, Allah said:

Whoever shows enmity to a friend of Mine, I have declared war against him”...

The doctrines of incarnation and union imply that Allah has entered all parts of the universe, or that the created being is identical to the Creator. Some Sufis admitted their fascination with this ḥ adīth and their confusion in interpreting it, using it as evidence for incarnation and union, or for the concept of mystical annihilation (fanā’).

Their understanding reflects a mistaken view that confuses the metaphoric or descriptive union suggested by the ḥ adīth with an ontological or essential union, which the ḥ adīth does not support in any way.

Recommendation:

The author recommends that researchers continue responding to the rest of the Sufi arguments that misuse other texts to justify the doctrines of incarnation and union.

Keywords: Ḥadīth of al-Walī, “Whoever shows enmity,” incarnation, union.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويصبرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله افتراء الغالين، وانتحال المبطلين، وزيف الجاهلين. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فإن من دأب أهل البدع والضلال مخالفة فهم سلف الأمة في تفسير النصوص الشرعية، وتحريف معانيها بما يتوافق مع أهوائهم ومشاربهم، ومن ذلك استدلالهم بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد، لذا جاء هذا البحث للوقوف على هذه الشبهة وتقنيدها أوجه الضلال في الاستدلال بها، وقد أسميته: [الاستدلال بحديث الولي على عقيدة الحلول والاتحاد - عرض ونقد -

أهداف البحث:

١ - الذب عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين.

٢ - نقد شبهات المخالفين في الاستدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد.

أهمية البحث:

١ - تصحيح الفهم الخاطئ في الاستدلال بالحديث في غير محله.

٢ - نسب الآراء للقائلين بهذا القول من أهل الفرق والطوائف دون تعميم أو تهويل.

٣ - بيان الموقف الصحيح في فهم الحديث.

منهج البحث:

١ - المنهج الوصفي: في شرح الحديث وبيان ألفاظه ومعانيه.

٢ - المنهج التحليلي: في تحليل ومناقشة أقوال الموافقين والمخالفين من الاستدلال بالحديث على الحلول والاتحاد.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول السؤال الآتي:

هل يدل حديث الولي على الحلول والاتحاد؟

ويتفرع عن ذلك العديد من الأسئلة وهي:

- ١- ما هو حديث الولي؟
- ٢- أين وجه الدلالة على الحلول والاتحاد في نظر القائلين بذلك؟
- ٣- ما صحة فهمهم لهذه الأدلة والجواب عنها؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي لم أقف على دراسة سابقة درست نفس الفكرة، ولكن وقفت على العديد من الدراسات المشابهة ومنها:

الدراسة الأولى: قطر الولي على حديث الولي، محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، المحقق: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، مصر.
وهذه الدراسة اكتفت بشرح الحديث دون التعرض بالتحديد لشبهات المستدلين بالحديث على الحلول والاتحاد إلا في نزر يسير نقلته في البحث.
الدراسة الثانية: حديث الولي بين مؤيديه ومعارضيه دراسة حديثة موضوعية، محمد صابر عرفه حامد، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، مصر، ٢٠١٢ م.
تحدث هذا البحث عن معنى الولاية، وعصمة الأولياء، والتفاضل بين الأنبياء والأولياء، وخطر معاداة أولياء الله، ولم يتعرض لمسألة الحلول والاتحاد.

خطة البحث:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حديث الولي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: روايات الحديث وحكمه.

المطلب الثاني: معنى الحلول.

المطلب الثالث: معنى الاتحاد.

المبحث الثاني: استدلال المخالفين بحديث الولي على الحلول والفناء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: استدلال المتصوفة بالحديث على الحلول والاتحاد.

المطلب الثاني: استدلال المتصوفة بالحديث على الفناء.

المبحث الثالث: مناقشة المخالفين في الاستدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد، وفيه ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول: الفهم الخاطئ للحديث.

المطلب الثاني: الخلط بين الاتحاد الوصفي والاتحاد الذاتي.

المطلب الثالث: مآلات قول المتصوفة.

الخاتمة (النتائج والتوصيات).

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: حديث الولي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نص حديث الولي وحكمه

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرَجُلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

وهذا الحديث قد ورد في صحيح الإمام البخاري الذي اتفق العلماء على أنه أصح كتاب بعد كتاب الله^(٢)، وبهذا فهو حديث ثابت صحيح، ولهذا قال عنه شيخ الإسلام: "وهذا أصح حديث يروى في الأولياء"^(٣).

المطلب الثاني: معنى الحلول

الحلول مشتق من الفعل الثلاثي (حَلَّ)، بمعنى وجب، ومن قوله تعالى: □ فَيَحْلِلْ عَلَيْنَا غَضَبِي □ [طه: ٨١]^(٤).

ويأتي بمعنى نزل، ومنه قوله تعالى: □ أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا □ مِّنْ دَارِهِمْ □ [الرعد: ٣١]^(٥). كما ورد في اللغة بمعان أخرى مختلفة^(٦).

وأما الحلول في الاصطلاح: فهو "عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري: حالًا، والمسري فيه: محلًا"^(٧).

إذاً الحلول هو الاتحاد أو الامتزاج لشئيين بحيث يكونا شيئاً واحداً. وهذا هو الحلول في نظر غلاة المتصوفة الذين يعرفونه بـ: "أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حلَّ في جميع أجزاء الكون .. أو بمعنى أنَّ المخلوق عين الخالق"^(٨).

يقول أبو الحسن الأشعري: "وفي النساك من الصوفية من يقول بالحلول وأنَّ البارئ يحل في الأشخاص وأنه جائز أن يحل في إنسان وسبع وغير ذلك من الأشخاص، وأصحاب هذه المقالة إذا أرادوا شيئاً يستحسنونه قالوا: لا ندري لعل الله حال فيه ومالوا إلى اطراح الشرائع وزعموا أنَّ

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع حديث رقم: ٦٥٠٢، (٨: ١٠٥).

(٢) ينظر: يحيى بن شرف النووي، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط٢)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ، ١: ١٤.

(٣) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د. ط)، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ١١: ١٦٠.

(٤) ينظر: محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض مرعب، (ط١)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م، ٣: ٢٨٠.

(٥) ينظر: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ٢: ٢٠.

(٦) ينظر: محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب". (ط٣)، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ، ١١: ١٦٣.

(٧) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، "التعريفات". ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ٩٢.

(٨) عبد القادر بن عبد الله عزيري، "حقائق عن التصوف". (ط١)، حلب: دار العرفان، ٢٠٠٧م، ١: ٤٣٤.

الإنسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة إذا وصل إلى معبوده"^(١)، وهذا النص فيه إثبات عقيدة الحلول عند بعض المتصوفة.

المطلب الثالث: معنى الاتحاد

الاتحاد لغة مشتق من الفعل (اتحد) بمعنى امتزج، ومضارعه يتحد اتحاداً فهو متحد. والاتحاد في الاصطلاح هو: "تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً"^(٢)، أو "اشتراك أشياء في محمول واحد ذاتي أو عرضي"^(٣). أما في الاصطلاح الصوفي فإن الاتحاد هو: "مرتبة شهود الحق في قلب السالك فتتمحي الكثرة وتتجلى الوحدة، ويفنى المتناهي في اللامتناهي"^(٤) ويعرفونه بأنه: "الشعور بفناء الصوفي في الله"^(٥) ويعرفه الجرجاني بأنه: "شهود الوجود الحق الواحد المطلق، الذي الكل موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به، معدوماً"^(٦).

ويقول الغزالي: "فنقول المفهوم من الحلول أمران:

أحدهما: النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين فالبريء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك

والثاني: النسبة التي بين العرض والجوهر فإن العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر عنه بأنه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالى وتقدس في هذا المعرض فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام فلا يتصور الحلول بين عبيدين فكيف يتصور بين العبد والرب"^(٧). ويتضح من خلال تفسيراتهم للحلول والاتحاد عدة أمور:

الأمر الأول: تقديس هذه المرتبة، والإعلاء من شأنها في الفكر الصوفي.

الأمر الثاني: الفلسفة والغموض في تعريفها بمزجها بالألفاظ الغامضة كالشهود والفناء والامتناهي واللامتناهي.

الأمر الثالث: التأثير بعلم الكلام ومصطلحاته كالعرض والجوهر والأجسام.

ومن هنا يلاحظ المتابع للفكر الصوفي تناقضاً بينهم في نسبة هذه الأفكار للتصوف، فمنهم من ينفي نسبتها للفكر الصوفي^(٨)، ومنهم من يحاول تأويلها بما يتماشى مع المعقول كما في كلام الغزالي.

(١) علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين". عناية هلموت ريتير، (فيسبادن: دار فرانز شتايز، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م)، ١٣.

(٢) الجرجاني، "التعريفات"، ٨.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم". تحقيق محمد إبراهيم عبادة، (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م)، ١٣٨.

(٤) محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسني، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان". (دمشق: دار المحبة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، ١٧٧.

(٥) الكسنزان، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان"، ١٧٧.

(٦) الكسنزان، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان"، ١٧٧.

(٧) محمد بن محمد الغزالي الطوسي، "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى". تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، (قبرص: الجفان والجابي، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)، ١٥٥.

(٨) ينظر: الكسنزان، "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان"، ١٨١، تحت عنوان: (لا حلول حلول ولا اتحاد عند الصوفية).

"ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا وهم عند كثير من الناس سادات الأنام ومشايخ الإسلام وأهل التوحيد والتحقيق. وأفضل أهل الطريق حتى فضلوه على الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين: لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال وإيضاح هذا الضلال. ولكن يعلم أن الضلال لا حد له وأن العقول إذا فسدت: لم يبق لضلالها حد معقول"^(١). ولا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر واتحاده به وأن البشر يكون إليها وهذا من الآلهة: فهو كافر مباح الدم"^(٢) يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعد الكبرى: "ومن زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر"^(٣).

"فإنه سبحانه ليس هو خلقه ولا جزء من خلقه ولا صفة لخلقه، بل هو سبحانه وتعالى متميز بنفسه المقدسة، بآن بذاته المعظمة عن مخلوقاته، وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية، من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وعليه فطر الله تعالى عباده، وعلى ذلك دلت العقول"^(٤).

المبحث الثاني: استدلال المخالفين بحديث الولي على الحلول والفناء (٥)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: استدلال المتصوفة بالحديث على الحلول والاتحاد.

اعترف المتصوفة بافتتانهم بهذا الحديث واشتباؤه عليهم، يقول ابن عربي بعد ذكره لحديث الولي^(٦): "ومن هذا التجلي قال من قال بالاتحاد"^(٧). ويقول حامد بن عمر حامد باعلوي^(٨) حول حديث الولي: "ولسلفنا من مشايخ الصوفية في هذا الباب فتوحات غيبية وإشارات ذوقية تهتز منها العظام البالية غير أنها لا تصلح إلا لمن سلك سبيلهم فعلم مشربهم وأما غيرهم فلا يؤمن عليه عند سماعها من الأغاليط التي تهوي بصاحبها إلى مهوأة الحلول والاتحاد تعالى الله الملك الحق عن صفات المخلوقين ونعوت المربوبين"^(٩). ويقول الباحث في التصوف الفلسفي أبو العلاء عفيفي: "أما الأحاديث النبوية التي ورد فيها ذكر الحب الإلهي، فتجاوز في عددها ومعانيها ما ورد في القرآن في هذا الصدد، ولا شك أن كثيراً منها قد وضع للتعبير عن الأفكار الصوفية التي نمت تحت تأثير عوامل خارجية ظهر أثرها في التصوف منذ منتصف القرن الثاني الهجري، ومن الأحاديث الصحيحة التي يكثر الصوفية من

(١) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى" ٢: ٣٥٧.

(٢) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٢: ٤١٨.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوى، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٤)، ٢: ١٦٠.

(٤) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٢: ٤٧٤.

(٥) الفناء في الاصطلاح الصوفي هو: "الغيبية عن الأشياء.. وقيل الفناء أن لا ترى شيئاً إلا الله، ولا تعلم إلا الله، وتكون وتكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله". عبد المنعم الحفني، "المعجم الصوفي"، (ط١، القاهرة: دار الرشد، ١٤١٧هـ)، ١٩٦.

(٦) وقد أنكر عليه ابن تيمية التقرب بالنوافل قبل الفرائض فقال: "ولهذا وجب التقرب بالفرائض قبل النوافل والتقرب بالنوافل إنما يكون تقريباً إذا فعلت الفرائض لا كما ظنه بعض الاتحادية كصاحب "الفتوحات المكية" ونحوه من أن قرب الفرائض يكون بعد قرب النوافل والنوافل تجعل الحق غطاءه وتلك تجعل الحق عينه، فهذا بناء على أصله الفاسد من الاتحاد". ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ١٧: ١٣٣، وينظر: محمد بن علي ابن عربي، "الفتوحات المكية". (مصدر إلكتروني). ٣: ٤٤.

(٧) ابن عربي، "الفتوحات المكية"، ٣: ٤٦٥.

(٨) حامد بن عمر بن حامد بن علوي، متصوف حضرمي، من مؤلفاته: الوصايا الجامعة والمكاتبات النافعة، الأوراد والدعوات الشهيرة، توفي سنة (١٢٠٩هـ). ينظر: عبد الله بن محمد الحبشي، "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن".

(د. ط. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٤م)، ٣٤٤.

(٩) عبد الله بن علوي العطاس، "ظهور الحقائق في بيان الطرائق". (مخطوط)، ٢٣٤.

روايتها والتعليق عليها الحديث القدسي الذي يقول الله تعالى فيه: لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل...^(١).

وبهذا شهدوا على أنفسهم بدخول شبهة الحلول والاتحاد عليهم من خلال الفهم الخاطئ لهذا الحديث، إلا أنه ومن باب الإنصاف فإن المتصوفة لم يكونوا سواء في هذا الفهم، بل إن الغالبية منهم تعارض هذا الفهم وتخالفه، ويمكن تقسيمهم في فهم هذا الحديث إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: من قال بالحلول والاتحاد مستدلاً بهذا الحديث.

يقول الغزالي بعد ذكر حديث الولي: "وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة إلى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم أنا الحق"^(٢). ويقول الحافظ ابن حجر عن الحديث: "والاتحادية زعموا أنه على حقيقته، وأن الحق عين العبد، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة حية قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر، قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً"^(٣).

فنسب الحافظ ابن حجر وغيره^(٤) هذا القول إلى الاتحادية القائلين به، واستدلواهم بهذا الحديث على زعمهم.

ونقل الكردي^(٥) عن علي الحلبي^(٦) أنه لا دليل للقائل بهذا الحديث القدسي، "لأن المتقرب إلى الله تعالى بالنوافل وغيره كالجعل"^(٧) والوزع والحية في ذلك سواء عند القائل بالحلول والاتحاد، كما يفهمه مدلولهما السابق، فسقط استدلاله لما في هذا الحديث، واتضح أن الصواب من معناه ما ذكره هؤلاء الأئمة الأعلام، وأن الله منزّه عما زعمه هؤلاء الطغام، تعالى الله عما يقول الكافرون والجاحدون علواً كبيراً"^(٨).

الطائفة الثانية: من أنكروا على المتصوفة هذا الاستدلال، ولكنهم عذروهم فيه.

(١) أبو العلاء عفيفي، "التصوف: الثورة الروحية في الإسلام". (د. ط، المملكة المتحدة: مؤسسة هندواي، ٢٠٢٠م)، ١٧٥.

(٢) محمد بن محمد الغزالي، "إحياء علوم الدين". (د. ط، بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ٤: ٣٠٧.

(٣) أحمد بن علي ابن حجر، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ١١: ٣٤٤.

(٤) نسب هذا القول إلى الاتحادية عدد من شراح الحديث مثل: محمود بن أحمد العيني، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري". (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٢٣: ٩٠، وأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)، ٩: ٢٩٠، وعبيد الله بن محمد المباركفوري، "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح". (ط٣، بنارس الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، ٧: ٣٩٠-٣٩١.

(٥) محمود بن محمد بن يزيد الكوراني الكردي، متصوف، له: نصيحة الأحباب، رسالة في الحكم والمواعظ السلوك لأبناء الملوك، توفي سنة (١١٩٥هـ). ينظر: خير الدين بن محمود الزركلي، "الأعلام". (ط٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٧: ١٨٤.

(٦) هو: علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، متصوف مصري، له كتاب: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، تعريف أهل الإسلام والإيمان بأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه مكان ولا زمان، مطالع البدر، توفي سنة (١٠٤٤هـ). ينظر: محمد أمين بن فضل الله المحبي، "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". (بيروت: دار صادر)، ٣: ١٢٢، الزركلي، "الأعلام"، ٤: ٢٥١.

(٧) الجعل: دويبة قذرة كالخنافس ونحوها. ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٢: ٢٩٩.

(٨) العطاس، "ظهور الحقائق في بيان الطرائق"، ٢٣٥.

يقول الصديقي^(١): "وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حال فيه ضلال وكفر إجماعاً، وما وقع في عبارات بعض العارفين مما يوهم ذلك فليس مراداً لهم، وفهم ذلك منه من قصور فهم الناظر، وإلا فهم مطهرون من ذلك الاعتقاد الفاسد كما طهرهم الله تعالى بكمال محبته من سائر المفاصد"^(٢).

ويقول الملا القاري^(٣) بعد ذكره لقول الحافظ ابن حجر في الإنكار على الاتحادية هذا القول^(٤): "ومن هذا يتضح لك قاعدة مهمة وهي: أن ما أشكل عليك من عبارات الأولياء فإن أمكن تأويلها فبادر إليه كقول أبي يزيد: ليس في الجبة غير الله، فإن لم يمكن فإن صدرت في مقام غيبة فلا حرج على قائلها؛ لأنه غير مكلف حينئذ، وكذا إن وقع الشك في ذلك، وإن صدرت مع تحقق صحوه أقيم عليه حكمها الشرعي، إذ الولي ليس بمعصوم، والمحموظ ربما فرط منه ما عوتب به ثم عاد إليه حاله"^(٥). ويقول شيخ الجفري^(٦) مبرراً لهم استدلالهم بهذا الحديث بأنهم: "يتكلمون على لسان القرب الأقدس الذي منحوه المشار إليه بقوله تعالى فإذا أحببته كنت سمعه وبصره وعينه ويده ورجله الحديث ويثبتون لأنفسهم بطريق الإلهام"^(٧) لا بطريق الحقيقة ما أثبتته الحق لنفسه لا بمعنى الاتحاد الذي هو الكفر والإلحاد حاشاهم عن ذلك"^(٨).

بمعنى أنهم حينما يدعون الدعاوى التي في ظاهرها القول بالحلول والاتحاد فإنهم لا يعنون ذلك، وإنما يتكلمون بلسان القرب والإلهام لا بطريق الحقيقة والحلول والاتحاد. وهذا تفریط كبير في مقام التوحيد، وتهوين من شأنه، وتيسير للتجرؤ عليه بدعاوى السكر وغيبة العقل، وفتح لأبواب الزندقة والجرأة على مقام التوحيد والشرع بحجة التأويل وعدم القصد.

(١) محمد علي بن محمد بن علان البكري الصديقي، من تصانيفه: ضياء السبيل الى معالم التنزيل، رفع الالتباس ببيان اشتراك معاني الفاتحة وسورة الناس، ورسالة في ختم البخاري، توفي سنة (١٠٥٧هـ). ينظر: محمد الغزي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق خليل المنصور، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ٣: ٦٠، عمر كحالة، "معجم المؤلفين". (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، ١١: ١٧٨.

(٢) محمد علي ابن علان، "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين". (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٤م)، ٢: ٣١١.

(٣) علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري الماتريدي، صنف كتباً كثيرة، منها: شرح قصيدة بدء الأمالي، في التوحيد، منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، الرد على ابن عربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد، توفي سنة (١٠١٤هـ)، ينظر: الزركلي، "الأعلام"، ١٢: ٥.

(٤) وينكر القاري نفسه هذا القول فيقول في شرح حديث الولي: "وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصال على ما توهمه أهل الضلال". علي بن محمد القاري، "شرح الشفا". (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ)، ١: ٤٥٩.

(٥) علي القاري، "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح". (ط١، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م)، ٤: ١٥٤٥.

(٦) شيخ بن محمد بن حسن الجفري، متصوف حضرمي، من مؤلفاته: نتيجة إشكال قضايا مسلك جوهر الجواهرية، برهان سلطان مشايخ الطريقة العيدروسية القادرية، مجموع الهفوات الصادات من الخيالات الواردات، توفي سنة (١٢٢٢هـ). ينظر: الحبشي، "مصادر الفكر"، ٣٥٩.

(٧) الإلهام عند الصوفية: "أن تحصل معارف جوداً وكرماً من الله تعالى، وهي غير مضمون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله". إحياء علوم الدين (٨/٣)، ويعرفه ابن تيمية بأنه "تخايل يقع في القلب، فقد يكون ذلك من الله، وقد يكون من وسوسة الشيطان، وليس على أحدهما دليل يدل عليه، ولأن من يدعى الإلهام يمكن خصمه أن يدعى خلافه، فإنه إذا قال ألهمت بكذا، فيقول خصمه وأنا ألهمت بكذا، فكان العمل به عملاً بلا دليل، والإلهام لا يصلح حجة لإلزام الحكم على الغير". ابن تيمية، "درء تعارض العقل والنقل" (ط٢، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ٨: ٢٩.

(٨) شيخ بن محمد الجفري، "كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية لسادات مشايخ الطريقة العلوية الحسينية والشيعية". (حضر موت - تريم: تريم للدراسات والنشر)، ١٥٦.

يقول شيخ الإسلام: "وهؤلاء موهوا على السالكين: التوحيد - الذي أنزل الله تعالى به الكتب وبعث به الرسل - بالاتحاد الذي سموه توحيداً وحقيقته تعطيل الصانع وجود الخالق"^(١).

المطلب الثاني: استدلال المتصوفة بالحديث على الفناء.

القائلون بالقول السابق من المتصوفة قلة قليلة، نظراً لبشاعة القول وشناعته، لذا فقد اتجه غالبية القوم إلى الاستدلال بهذا الحديث على الفناء المطلق والاستغراق التام بين ذات الله وصفات الولي لتصيرا كذات واحدة.

يقول التفتازاني^(٢): "السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد وإليه يشير الحديث الإلهي: أن العبد لا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، وحينئذ ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد؛ لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان والله الموفق"^(٣).

والحقيقة أن هذا ليس هو الفناء الشرعي لأن الفناء الشرعي هو: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فيشهد أنه لا خالق غيره، ويشهد أنه لا يستحق العبادة غيره، وهذا هو الفناء المأمور به الذي جاءت به الرسل وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه؛ وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه^(٤).

ولا يجوز الاقتداء بأصحاب الفناء الصوفي "ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكالييف الظاهرة؛ .. ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .. فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه"^(٥).

ويقول أحمد الرفاعي^(٦) لخدمته: "وأزيدك أنه لا تستقر نطفة في فرج أنثى إلا ينظر ذلك الرجل إليها، ويعلم بها، قال يعقوب الخادم: فقلت له: يا سيدي هذه صفات الرب جلا وعلا، فقال: يا يعقوب استغفر الله تعالى، فإن الله تعالى إذا أحب عبداً صرفه في جميع مملكته، وأطلعته على ما شاء من علوم الغيب، فقال يعقوب: تفضلوا علي بدليل على ذلك، فقال سيدي أحمد: الدليل على ذلك قول الله عز وجل في الحديث القدسي: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت

(١) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٢: ٤٦٤.

(٢) مسعود بن عمر التفتازاني، من متكلمي الأشاعرة، من مؤلفاته: شرح العضد، وشرح التلخيص، والتلويح على التنقيح في أصول الفقه، وشرح العقائد، توفي سنة (٧٩٢هـ). ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان: المكتبة العصرية) ٢: ٢٨٥، عبد الحي ابن العماد، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". (ط١، دمشق دار ابن كثير، ١٩٨٦م)، ٨: ٥٤٧.

(٣) مسعود بن عمر التفتازاني، "شرح المقاصد في علم الكلام". (دار المعارف النعمانية، ١٩٨١م)، ٢: ٧٠.

(٤) ينظر: ابن تيمية، "الرد على المنطقيين". ٥٢٠، ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٨: ٣٣٨.

(٥) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ١٠: ٣٤.

(٦) أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي، صوفي أشعري، يعد من أقطاب الصوفية، وإليه تنتسب الطريقة الرفاعية، من مؤلفاته: الصراط المستقيم، المجالس الأحمدية، التحفة الرفاعية، توفي سنة (٥٧٨هـ). ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، "سير أعلام النبلاء". (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ٢١: ٧٧، صلاح الدين الصفدي، "الوافي بالوفيات". (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، ٧: ١٤٣.

سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به"، إلى آخره وإذا كان الحق تعالى مع عبده كما يريد صار كأنه صفة من صفاته^(١)

ويقول أحمد سكيرج^(٢): "فإذا قال قائل إنَّ الولي هو خالق الوجود أو موجد أو نحو هذا مما هو خالص بالله تحقق المؤمن الحقاني بأن المراد بالولي هنا هو الله تبارك وتعالى، لأنَّ الولي من أسمائه، وقد يلبس مطلق الأولياء من عباده حلة من حلل أنوار هذا الاسم، فيتصرف في الكون تصرف مولاه الذي ولاه، بمقتضى كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، إلى آخر الحديث القدسي القاضي بهذا من غير تأويل"^(٣).

ويقول عبد الحق الدهلوي^(٤): "«لا يزال عبدي المؤمن يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وببي يبصر، وببي يبطش»"^(٥)، وهذا إنما يكون حالة الفناء لا غير، فتعمى عما سواه فلا ترى بغيره وجوداً. هذا كلامه الأقدس، وهو كلام تام شامل لجميع مراتب الفناء، لا كما يزعمه بعض القاصرين أنه مرتبة قرب النوافل وأدنى المراتب، فافهم. وبالله التوفيق، وهو يقول الحق ويهدي السبيل. وقوله: «فكنت سمعه. . . إلخ» يعني: ما يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً ولا يبطش شيئاً ولا يمشي إلى شيء إلا والحق سبحانه منظوره ومشهوده، على ما أشار إليه بعض العارفين بقوله: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو معه أو قبله أو بعده على تفاوت الأحوال، وأول هذه المراتب العمل لامثال أمر الله ونية التقرب إليه، وآخره الفناء في التوحيد، وإذا بلغ العبد هذه المرتبة يستجاب دعاؤه البتة بفنائه عن إرادته وتمحض عبوديته"^(٦).

فهذه الأقوال هي في حقيقتها تمهيد للقول بالحلول والاتحاد، إذ تتضمن تبريراً صريحاً لأهلها، وعدّ هذا الحال مشهداً من مشاهد الفناء الكلي^(٧). وهو ما درج عليه أصحاب الحلول والاتحاد، حيث استندوا إلى هذا الحديث في تأصيل مذهبهم الباطل.

المبحث الثالث: مناقشة المخالفين في الاستدلال بحديث الولي على الحلول والاتحاد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفهم الخاطي للحديث

فهم القائلون من المتصوفة من الحديث الامتزاج والحلول، وهو فهم خاطي مخالف للفهم السليم الصحيح للحديث، يقول القاضي عياض: "«فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به» ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله، والإعراض عن غير الله، وصفاء القلب لله، وإخلاص الحركات لله"^(٨).

(١) عبد الوهاب الشعراني، "لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحديث بنعمة الله على الإطلاق"، ٢: ٥٢.

(٢) أحمد بن الحاج العياشي سكرج، متصوف مغربي، من مؤلفاته: الوصية الشافية، الكوكب الوهاج، كشف الحجاب عن تلاقي مع التجاني من الأصحاب، توفي سنة (١٣٦٣هـ). ينظر: محمد بن محمد الحجوجي، "فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام"، (بيروت: كتاب ناشرون، ٢٠١٨م)، ٢٧.

(٣) أحمد سكيرج، "الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة"، ٣٦.

(٤) عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله الدهلوي، من مصنفاته باللغة العربية مقدمة في مصطلح الحديث، ثبت في مشايخه وأسانيده، توفي سنة (١٠٥٢هـ). ينظر: الزركلي، "الأعلام"، ٣: ٢٨٠.

(٥) سبق تخريجه في المطلب الأول من المبحث الأول.

(٦) عبد الحق الدهلوي، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، (ط١، دمشق: دار النوادر، ٢٠١٤م)، ٥: ٣٧.

(٧) ينظر: ابن عطاء الله الإسكندري، "لطائف المنن"، (القاهرة: مطبعة حسان، ١٩٧٤م)، ١٠٣.

(٨) عياض بن موسى عياض، "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، (عمان: دار الفحاء، ١٤٠٧هـ)، ١: ٤١٣.

وفي هذا الكلام البديع لشيخ الإسلام ردُّ على أصحاب القولين سواء ممن استدل بالحديث على الحلول أو على الفناء.

ويقول أيضاً: "وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام، أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود، وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك، كأشباه النصارى.

والحديث حجة على الفريقين، فإنه قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، فأثبت ثلاثة: ولياً له، وعدواً يعادي وليه، وميَّز بين نفسه وبين وليه، وعدو وليه، فقال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، ولكن دلَّ ذلك على أنَّ وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض، ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي، فيكون الرب مؤذناً بالحرب لمن عاداه، بأنه معاد لله^(١).

فاستدلَّ لهم بالحديث على الوحدة والحلول فيه مخالفة للحديث الذي يذكر ثلاثة لا واحداً. كما أنَّ الحديث يذكر حب الله لهم بسبب قربهم منه جلَّ وعلا، وهذا فيه ردُّ صريح واضح على من قال بالوحدة والاتحاد لأن فيه ذكر الله وذكر العبد، فكيف يقال للثنتين واحداً؟!^(٢).

يقول ابن القيم: "ليس المراد أني كنت نفس هذه الأعضاء والقوى كما يظنه أعداء الله أهل الوحدة، وأنَّ ذات العبد هي ذات الرب تعالى الله عن قول إخوان النصارى علواً كبيراً، ولو كان كما يظنون لم يكن فرق بين هذا العبد وغيره، ولا بين حالتي تقربه إلى ربه بالنوافل وتمقته إليه بالمعاصي، بل لم يكن هناك متقرب ومتقرب إليه، ولا عبد ولا معبود، ولا محب ولا محبوب، فالحديث كله مكذب لدعواهم الباطلة"^(٣). ويقول الشوكاني: "فإن الحديث كله يرد عليهم فإن قوله: عادى لي ولياً يرد عليهم؛ لأنه يقتضي وجود معاد ومعادي ومعادى لأجله. ويقتضي وجود موالى وموالي، ويقتضي وجود مؤذن ومؤذن ومحارب ومحارب، ومتقرب ومتقرب إليه وعبد ومعبود ومحب، ومحب وهكذا إلى آخر الحديث. فهو جميعه يرد على الاتحادية المتمسكين به من حيث لا يشعرون .. والحاصل أنَّ قول الاتحادية يقضي عقل كل عاقل ببطلانه ولا يحتاج إلى نصب الحجة معهم"^(٤).

فالحاصل أنَّ حجة المستدلين بحديث الولي على الحلول والاتحاد منقوض بالحديث نفسه، حيث توهموا منه الوحدة والاتحاد، إلا أنَّ الحديث يدل على خلاف ذلك تماماً، كما هو مبين في أقوال أهل العلم آنفة الذكر.

المطلب الثالث: مآلات قول المتصوفة

أولاً: وقوعهم في الغلو للأشخاص وتقديس البشر.

إنَّ المستدلين بحديث الولي وقعوا بهذا الفهم الحلولي الاتحادي في تعظيم ذوات الأولياء والمبالغة في تقديسهم، ووقعوا في ما وقع فيه النصارى قبلهم، يقول شيخ الإسلام: "كما في الحديث الصحيح: «لا يزال عبيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث، وكثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة ووقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله، مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله، ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصوماً فيجعلون

(١) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح". تحقيق علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، (ط٢)، السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م)، ٣: ٣٣٥.

(٢) ينظر: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "النبوات"، (الرياض: أضواء السلف، ٢٠٠٠ م)، ١: ٣٥٦.

(٣) ابن قيم الجوزية، "عدة الصابرين ونخيرة الشاكرين". (ط٣)، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٩ م): ٤٦.

(٤) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، "ولاية الله والطريق إليها". (القاهرة: دار الكتب الحديثة): ٤١٩.

متبوعهم شارعين لهم دينًا، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينًا، ثم إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أنَّ الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح والقساوسة، ويثبتون لخاصتهم من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح، وأمه والقسيسين والرهبان" (١).

ثانيًا: مخالفة البداهة والعقل.

إذ أنَّ سمع الرب وبصره ليس كسمع العبد وبصره وصفاته، ولهذا "قال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى في صفة الأولياء «فإذا أحببته كنتُ سمعهُ الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» ومن المعلوم بالضرورة أنَّ القوة الباصرة التي بها يرى الأشياء ليست هي الله تعالى" (٢).

- أنه قال «كنتُ سمعهُ الذي يسمع به» "ولم يقل: كنتُ سمعهُ فقط، من غير أن يقول الذي يسمع به، فقوله: كنتُ سمعهُ تشبيهه وقوله: الذي يسمع به تنزيهه" (٣).
- أنه جعل معاداة وليه معاداة له ولم يجعل نفسه ذات وليه.
- أظهر أنَّ المتقرب إليه عبده والمتقرب ليس المتقرب إليه.
- ذكر السمع والبصر، وهذا صريح أنَّ الله تعالى ليس هو عين العبد وأعضائه.
- قال لئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ومن المعلوم أنَّ السائل المستعيز ليس هو المستعاذ به، وفيه تصريح بأنه عبده ليس الرب جزءاً منه ولا صفة له، وأنه يُقبض ويموت ومعلوم أنَّ الله حي لا يموت، وهذا كله ينقض قولهم: الوجود واحد (٤).

ثالثًا: مخالفة إجماع المسلمين.

يقول ابن تيمية: "ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أنَّ الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد" (٥). ويقول الصديقي "وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حال فيه ضلال وكفر إجماعاً" (٦).

الخاتمة (النتائج والتوصيات)

أولًا: النتائج.

- ١- حديث الولي هو الحديث القدسي الوارد في صحيح البخاري وغيره، ونصه: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ۝ ۰۰ ۰».
- ٢- الحلول والاتحاد يعني أنَّ الله سبحانه وتعالى قد حلَّ في جميع أجزاء الكون .. أو بمعنى أنَّ المخلوق عين الخالق.

(١) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "العبودية"، (ط٧ المجددة، بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٥م)، ١١٩.

(٢) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية". تحقيق مجموعة من المحققين، (ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ)، ٦: ٢٤٩.

(٣) عبد الغني النابلسي، "جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص"، ١: ٤٧٨.

(٤) ابن تيمية، "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية"، ٦: ٢٦٧ باختصار.

(٥) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٢: ٣٤٠.

(٦) ابن علان، "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين"، ٢: ٣١١.

- ٣- اعترف المتصوفة بافتتانهم بهذا الحديث واشتباهاه عليهم، واستدلوا بعضهم به على الحلول والاتحاد، ومنهم من استدل به على الفناء الصوفي.
- ٤- فهم القائلون من المتصوفة من الحديث الامتزاج والحلول، وهو فهم خاطئ مخالف للفهم السليم الصحيح للحديث.
- ٥- اشتبه على المستدلين بحديث الولي الأمر، وخلطوا بين الاتحاد النوعي الوصفي الذي يشير إليه الحديث، وبين الاتحاد الذاتي الذي لا يدل عليه الحديث البتة.
- ٦- الاستدلال بالحديث على الحلول والاتحاد أوقعهم في الغلو في الأشخاص وتقديسهم، ومخالفة الإجماع والعقل.

ثانيًا: التوصيات.

- ١- أوصي الباحثين بالتوسع في دراسة الحديث دراسة عقدية.
- ٢- كما أوصي الباحثين بالرد على بقية شبهات المتصوفة التي يستدلون بها على الحلول والاتحاد كاستدلالهم على وحدة الوجود بحديث «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»^(١).

المصادر والمراجع

- ١- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد. "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق محمود الأرناؤوط. (ط١، دمشق - بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- ٢- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. "النبوات". تحقيق عبد العزيز بن صالح الطويان. (الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
- ٣- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح". تحقيق علي بن حسن، وآخرون. (ط٢، السعودية: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م).
- ٤- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. "الرد على المنطقيين". (د. ط، بيروت: دار المعرفة).
- ٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. "العبودية". تحقيق محمد زهير الشاويش. (ط٧، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- ٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. "أمراض القلب وشفافؤها". (ط٢، القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩ هـ).
- ٧- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية". تحقيق مجموعة من المحققين. (ط١، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد، ١٤٢٦ هـ).
- ٨- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. "درء تعارض العقل والنقل". تحقيق محمد رشاد سالم. (ط٢، السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).
- ٩- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. "مجموع الفتاوى". تحقيق عبد الرحمن بن قاسم. (د. ط، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م).
- ١٠- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان". ، تحقيق شعيب الأرناؤوط. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ١١- ابن حجر، أحمد بن علي. "فتح الباري شرح صحيح البخاري". (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الألفاظ، باب النهي عن سب الدهر، (٤/ ١٧٦٣)، برقم: (٢٢٤٦).

- ١٢- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم". تحقيق شعيب الأرنؤوط. (ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).
- ١٣- ابن شاكراً، محمد بن شاكراً. "فوات الوفيات". تحقيق إحسان عباس. (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م).
- ١٤- ابن عربي، محمد بن علي. "الفتوحات المكية". (مصدر إلكتروني).
- ١٥- ابن علان، محمد علي بن محمد. "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين". اعتنى بها خليل مأمون شيجا. (ط٤، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).
- ١٦- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. "معجم مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ١٧- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين". (ط٣، دمشق - دار ابن كثير؛ المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- ١٨- ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).
- ١٩- أبو العلاء عفيفي. "التصوف: الثورة الروحية في الإسلام". (المملكة المتحدة، مؤسسة هندأوي، ٢٠٢٠م).
- ٢٠- الأزهرى، محمد بن أحمد. "تهذيب اللغة". تحقيق محمد عوض مرعب. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).
- ٢١- الأشعري، علي بن إسماعيل بن إسحاق. "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين". عناية هلموت ريتير. (فيسبادن: دار فرانز شتايز، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).
- ٢٢- البخاري، محمد بن إسماعيل. "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري". تحقيق محمد زهير. (ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
- ٢٣- البزار، أحمد بن عمرو. "مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار". تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرون. (ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩م).
- ٢٤- البيهقي، أحمد بن الحسين. "السنن الكبير". تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. (ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).
- ٢٥- التفنازاني، مسعود بن عمر. "شرح المقاصد في علم الكلام". (دار المعارف النعمانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
- ٢٦- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. "التعريفات". ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).
- ٢٧- الجفري، شيخ بن محمد. "كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية لسادات مشايخ الطريقة العلوية الحسينية والشعيبية". (حضر موت تريم للدراسات والنشر).
- ٢٨- الحبشي، عبد الله بن محمد. "مصادر الفكر الإسلامي في اليمن". (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٤م).
- ٢٩- الحجوجي، محمد بن محمد. "فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام". (بيروت: كتاب ناشر، ٢٠١٨م).
- ٣٠- الحفني، عبد المنعم. "المعجم الصوفي". (ط١، القاهرة: دار الرشد، ١٤١٧هـ).

- ٣١- الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين. "لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح". تحقيق وتعليق تقي الدين الندوي. (ط١، دمشق: دار النوادر، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).
- ٣٢- الذهبي، محمد بن أحمد. "سير أعلام النبلاء". تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط. (ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- ٣٣- الزركلي، خير الدين. "الأعلام". (ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).
- ٣٤- سكيرج، أحمد. "الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة".
- ٣٥- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (لبنان: المكتبة العصرية).
- ٣٦- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم". تحقيق محمد إبراهيم عبادة. (ط١، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).
- ٣٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الحاوي للفتاوى، (بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٤).
- ٣٨- الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد. "لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق".
- ٣٩- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. "ولاية الله والطريق إليها". تحقيق إبراهيم إبراهيم هلال. (القاهرة: دار الكتب الحديثة).
- ٤٠- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. "الوافي بالوفيات". تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركلي مصطفى. (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ٤١- العثيمين، محمد بن صالح. "شرح الأربعين النووية". (دار الثريا للنشر).
- ٤٢- عزيزي، عبد القادر بن عبد الله. "حقائق عن التصوف". (ط١٦، حلب: دار العرفان، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).
- ٤٣- عطاء الله الإسكندري. "لطائف المنن". تحقيق عبد الحليم محمود. (القاهرة: مطبعة حسان، ١٩٧٤م).
- ٤٤- العطاس، عبد الله بن علوي. "ظهور الحقائق في بيان الطرائق". (مخطوط).
- ٤٥- عياض، عياض بن موسى. "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى". (ط٢، عمان: دار الفحاء، ١٤٠٧هـ).
- ٤٦- العيني، محمود بن أحمد. "عمدة القاري شرح صحيح البخاري". (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- ٤٧- الغزالي الطوسي، محمد بن محمد. "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى". تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي. (قبرص: الجفان والجابي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ٤٨- الغزالي، محمد بن محمد. "إحياء علوم الدين". (د. ط، بيروت: دار المعرفة).
- ٤٩- الغزي، محمد بن محمد. "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". تحقيق خليل المنصور. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ٥٠- القاري، علي بن محمد الملا. "شرح الشفاء". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).
- ٥١- القاري، علي بن محمد نور الدين. "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح". (ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

-
- ٥٢- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر. "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط٧)، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ).
- ٥٣- كحالة، عمر رضا. "معجم المؤلفين". (بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث)
- ٥٤- الكسنزان الحسيني، محمد بن الشيخ عبد الكريم. "موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان". (دمشق: دار المحبة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- ٥٥- المباركفوري، عبيد الله بن محمد. "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح". (ط٣، بنارس الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، ١٩٨٤م).
- ٥٦- المحبي، محمد أمين. "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". (بيروت: دار صادر).
- ٥٧- النابلسي، عبد الغني. "جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص".
- ٥٨- النووي، يحيى بن شرف. "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج". (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).